

يقول حلِيم بركات «عجأة يتداعى الى ذهنه ان بلاده هولندي طائر . اصوات الكلاب تشبه اصوات البحارة عندما رأوا البر . أمس كان يصغى لهذه الاوبرا التي استوحاها فاغتر من أسطورة تدور حول سفينة مسحورة لا يمكنها الوصول الى ميناء ، وهي لا تزال تبحر منذ الازل . كان الهولندي الطائر قد اقسام انه سيدور حول جبل تحيط به العواصف العاتية . وان اضطر ان يبحر حتى يوم القيامة . وغضبت الالهة او الشياطين عندما سمعت قسمة فحكمت عليه أن يبحر منقيا الى الابد ولن تحل عنه هذه اللعنة ما لم يجد امرأة تخلص له حتى الموت . الشياطين لا تؤمن بالمرأة ، فسمحت للهولندي الطائر بالعودة الى البر كل سبع سنوات ليبحث عن امرأة تخلص له حتى الموت . مسكين هذا الهولندي الطائر في كل مرة زار البر ، كان يعود الى البحر اكثر بأسا وخيبة . انه اليوم متعب من نفيه وتجواله العبثي اكثر من اي وقت مضى » (٢٣) .

هذه هي قصة الهولندي الطائر . وهي تأخذ دلالتها الرمزية اذ تواكب سير أحداث القصة فتكون مهمتها هنا توضيح المواقف . فاذا كان الهولندي الطائر يأخذ فرصة لايجاد امرأة مخلصه كل سبع سنوات فان الفلسطيني المنفي يأخذ فرصة للعثور على المنقذ كلما تعلن حرب جديدة ويمتزج الرمز بالواقع حينما يقول حلِيم بركات « الحرب اعلنت الان . الهولندي الطائر يرى البر . مرة اخرى يشرق الامل . صخور شاهقة ترتفع من بعيد . يبدو ان السفينة تستطيع ان ترسو بأمان . اصوات البحارة تشق السماء اصوات طلاب الجامعة في بيروت امواج صاخبة تتلاطم وتتعالى مهللة للعودة » (٢٤) .

وهكذا تحمل قصة الهولندي الطائر في طياتها قصة العربي وحرب ١٩٦٧م . لقد اعطى العربي فرصة جديدة في حرب ١٩٦٧ لايجاد المنقذ فكان يحمل الامل في النصر ، كما كان الهولندي يحمل الامل ، في ايجاد المرأة المخلصه . ولكن الحرب لا تكون في صالحه . والهولندي الطائر حينما ينزل الى البر ، لا يجد المرأة المخلصه . ويعود العربي نتيجة ذلك مدحورا ويحمل أملا جديدا ، في فرصة جديدة ، ليجد المنقذ ، ويحقق النصر . كذلك يعود الهولندي الطائر الى البحر ليدور من جديد بانتظار فرصة جديدة لعله يلتقي بالمرأة المخلصه .

واستخدم الكاتب دلالة الالهة التي غضبت على الهولندي الطائر رمزا للاستعمار الذي لا يسمح للارادة العربية بالتححرر ولا يرضى لها سوى الخضوع « الالهة لا تزيد الهولندي الطائر ان ينعم بالسلم في بلاده . الالهة لا تريد السلم للذين لا يخضعون لارادتها . الذين حكموا على الهولندي الطائر بالعذاب الابدي هم انفسهم الذين حكموا عليه ان ينسلخ عن بلاده وان تنسلخ بلاده عن وجودها ، وتقذفه فوق البحر نحو الغرب . الالهة لا ترغب ان يستقل البشر ويتحرروا . تريد لهم بلا كبرياء وتقول لهم ان يتنعوا عن اكل التفاحة » (٢٥) .

ان الاستفادة من هذه الاسطورة بدلالاتها الرمزية ، واكبه كذلك الاستفادة من الموروث الشعبي حيث أخذ قصة « الضبع والعروس » واكسبها دلالات رمزية ، فالقصة في الموروث الشعبي تحكي بأن هناك عرسا ، وركبت العروس الحصان ، وفي الطريق هجم عليها ضبع كبير وخطفها وحملها للمغارة . وينهشها الضبع ، فيسمع عريسها بذلك فيتناول بندقيته ، ويطلق الرصاص على الضبع ، فلا يصيبه . ويخرج الضبع ، ويهاجم العريس ، فيطلق النار عليه ولا يصيبه . ويركض العريس ، ويتسلق شجرة ليحتمي من الضبع . ويقوم الضبع بملامسة الشجرة . يتبول ويرش على العريس ، الذي انضبع . فينزل عن الشجرة ، ويتبع الضبع الذي يلطم رأس